عبد الجبار السحيمي

من يخسر أخيرا ..

كنت لا التفت كثيرا الى هذا المركز الثقافي الاميركي الذي يوجد على رأس الشارع . كنت امر عابرا بمركز سفارة اميركا بالرباط ! كانت لافتة « كتائب السلام » المعلقة فوق « الفيلا » المغلقة لا تثير كثيرا من فضولي .. الان ، بعد العدوان الاسرائيلي ، وسلاح اميركا الذي يتدفق على اسرائيل بشكل مهول ، بدأت اخطو امام هذا المركز الاميركي بكثير من الحذر ! بدأت اخمن حقيقة ما يمكن ان يكون همائم السلام يصنعون !

لست وحدي من يفعل ذلك ، ففي خلال اسبوع واحد فقط ، وصلت من القراء عديد من الرسائل ، كلها تقول ، بصيغ مختلفة ،ان الذي يقتل ابناءنا ، جنود المغرب في سوريا وفي مصر ، هو السلاح الاميركي ، وليس اسرائيل فقط .. ولا احد يعرف من هو الاصبع الذي يضغط على الزناد ، اذ أن كثيرا من رجال عصابات العدو، « يتخفون » وراء الجنسية المزدوجة . وهناك بعض القراء الذين كتبوا رسائل غاضبة ، الى حد يصعب نشرها ، او حتى الاشارة الى محتواها ..

بالنسبة لي ، فان المرور امام السفارة الاميركية اصبح بمثابة التقاء ، مع خط النار . وماذا يكون غير ذلك ، واميركا الرسمية، لا تتورع ان تمطر اسرائيل بادوات القتل ، وهي تعرف لا شك ، هذه الامريكا الرسمية ، ان النار التي تقتل الناس في دمشق ومصر ، لا تفعل ذلك دفاعا عن حق ، فالعالم كله ـ مهما كان تصرفه ـ يعرف جيدا ان السوريين يدافعون عن حرية كل شبر من الارض السورية التي يحتلها هذا الطرف الاخر المعتدي ، الذي يطلق الرصاص الاميركي ! كما يعرف العالم ، ان المصريين يدافعون عن الارض المصرية التي يحتلها المعتدي ، وهو يحتلها بهذا الرصاص الذي تمطر به اميركا الرسمية اسرائيل ..

ليس هو الغيظ ما احس به ،وانا امر هذه الايام بالمركز في رأس الشارع ، او بمقر السفارة ،فقد كنت اعرف دائما ان اميركا الرسمية ، قلبها مع اسرائيل ، حتى وهي معتدية ، لكنني لم اكن اظن ان الامر يصل الى هذا الحد الغريب من عدم التقدير ، فبدلا من ان تقوم اميركا الرسمية ، بمجرد اجراء منطقي لتفرض على المعتدي موقفا يحفظ لاميركا نفسها بعض العطف الذي تلقاه في هذا البلد او ذاك ، مع هذا النظام او ذاك ، بدل ذلك ، فان اميركا الرسمية ، تعلن صراحة عن تدفق اسلحتها على اسرائيل ،حتى من غير اشتراط في ان يكون هذا السلاح اداة للدفاع لا للعدوان او لاحتلال اوطان الاخرين، ومن غير اشتراط ان لا يستعمل هذا السلاح ضد الاطفال الصغار والنساء والمستشفيات في دمشق ! لا شيء من ذلك، وانما قوافل جوية وبحرية لا تعرف التوقف ، تملأ خزائن اسرائيل بادوات القتل ، وادوات الاعتداء على اوطان الاخرين .

ما الذي اقول لابني ، لو سالني مرة عن معنى المركز الثقافي الامريكي ؟ ما الذي اقول له ، لو اشار الى البناء الفاخر لمقر سفارة امريكا ؟ بل ما الذي اقول له ، لو سأل سؤالا ابعد من ذلك ، استوحاه من هذه الاخبار التي يتهجاها في الصحف ، او يستمع اليها من الاذاعات عن موقف امريكا من الانسان العربي : مغربيا ومصريا وسوريا وعراقيا وسعوديا و ...

اعرف ان مثل هذه الاعتبارات ، لا تخطر ببال سياسة امريكا الرسمية ! لست ساذجا حتى افترض العكس ، لكنني اعرف يقينا ان عالم الغد ، عالم القرن الواحد والعشرين ، هو عالم سوف يكون قادته ورجالاته ومفكروه اطفال اليوم في مصر وفي سوريا وفي المغرب وفي المملكة العربية السعودية وفي تونس وفي الاردن وفي كل هذا الوطن العربي من المحيط الى الخليج .. فما الذي يمكن ان تتوقعه امريكا الرسمية من قادة ، عرفت طفولتهم كثيرا من المرارة وكثيرا من الحزن ، وارتبطت هذه المرارة وهذا الحزن باسم امريكا التي تعطي بلا حساب النار والرصاص لاسرائيل ؟

سؤال لا اجيب عليه ! أطفال اليوم هم الذين يملكون ان يجيبوا عليه مع اطلالة القرن الواحد والعشرين ، حين يكون كثير منهم في مراكز المسؤولية ، وحين تكون الامة العربية اكبر بكثير مما هي عليه الان ، في الناس وفي كفاءة الناس وقدراتهم وامكانياتهم التي تتطور باستمرار ..

ومن يخسر اخيرا ، سيكون الخاسر الاكبر !

مصر التي في الخاطر

نحبها كثيرا ، من اجل هذا الحب الكبير لها ، نغضب احيانا منها.

انني اتحدث عن مصر : مصر الماضي ومصر الحاضر ، مصر التي في خاطر الناس جميعا ، وفي دمهم !

لم اعرف متى ولا كيف بدأت ارتبط بها ، لكنني أكاد أعتقد أن ذلك بدأ منذ الصبا الباكر ، حتى قبل ان اعرف الكثير عنها ، وقبل ان أقرأ مجلة الاطفال « سندباد » ، وقبل ان أميز لهجتها الحلوة عن باقي اللهجات المحلية ، وقبل أن أحدد بعض الاسماء التي تدل عليها ، بل وقبل ان اكون قد رأيت حارة من حاراتها في فيلم سينمائي ..

والذي يحب مصر ، لا يحب جزءا منها ويستثني جزءا آخر .. الذي يحب مصر ، يحبها كلها ، النيل ، أم كلثوم ، المنفلوطي ، رسالة الزيات ، الازهر ، احمد فؤاد نجم ، الدراويش ، جامعو السبارس ، المنصورة ، بور سعيد ، الاسكندرية ، الشعر ، والفول المدمس .

هكذا تعلمنا ان نحب مصر ..

أذكر ، في سنواتي الاولى بالمدرسة ، ان زائرا غريبا دخل زقاقنا ذات يوم ، كنا نلعب الكرة وقتها فلم نتوقف حتى يعبر الزائر الغريب ، لكننا عرفنا في نفس اليوم انه مغربي كان يدرس في مصر ، وعاش بعض الوقت هناك ، كان ذلك الغريب هو الشاعر الاستاذ محمد بن عبد الله ، ومنذ عرفنا ذلك ، بدأنا ، لا نوقف فقط لعبة كرة القدم حين يمر بنا ، بل اصبحنا نتحلق حوله ، نقتفي خطواته حتى يدخل بيت اسرته في آخر الزقاق ، كان يكفينا ان نعرف انه آت من مصر ، لنسحب عليه الحب الذي نختزنه على البعد لمصر ..

وكبرنا وكبر معنا هذا الحب . كانت مصر هي التي تحتضن كثيرا من ابنائنا ، تفتح لهم القاهرة دارا حين يطاردهم الاستعمار هنا ، تفتح لهم باب جامعاتها لان الاستعمار هنا كان يكره مجرد ان يوجد جامعي مغربي .. باللغة العربية .

مصر التي نحبها كثيرا ، هي مصر دائما ، في الماضي وفي الحاضر نفرح معها ، نشقى معها ، وتتعلق قلوبنا بكل اخبارها ، بكل اخبار شعبها الطيب العريق .

يا مصر ، ليس طارئا ان دم الجندي المغربي قد سال فوق ترابك،

محمد العربي الشاوش — الى المجاهدين

ما بعد غدر الغدره ... بني صهيون الفجره ... من يزرع شرا في الورى ... يحصده حقا ويره
سوى الوقوف كتلة ... جبارة مستنفره ... هم الذين بدأوا ... بالغدر فانظر اثره
وجبهة مرصوصة ... وعصبة مشمره ... وأوقدوا نار الوغى ... محرقة مدمره
تحمي البلاد والعبا ... د من طغاة كفره ... وبرزوا كأنهم ... وحوش غاب خطره
من الذئاب الخبثا ... ء المعتدين المكره ... وهجموا غدرا على ... أوطاننا المحرره
أبناء صهيون اللئا ... م العابثين الحقره ... ويتموا ، ورملوا ... بخسة وبربره
قد ظلموا وشردوا الـ ... عرب الكرام البرره ... فليس بعد غدرهم ... الا الحروب المشهره
وهتكوا حرمتهم ... بأيد كانت قذره ... نذود عن أوطاننا ... كخالد أو عنتره
واختلسوا ارضا بها ... مآثر مطهره ... وما رهبنا قوة ... وعدة مدخره
ارض « فلسطين » التي ... هي بحق جوهره ... وما ئسنا لحظة ... ولا رجعنا القهقره
وامتلكوها بالخدا ... ع والخطى المزوره ... قالوا انهزمنا ، كذبة ... من ثلة مستهتره
وسلبوا أمجادها ... فأصبحت مستعمره ... لم ننهزم قط ، ولكـ ... ن قد قبلنا المشوره
واغتصبوا واستعبدوا ... بحيلة مدبره ... من «مجلس الامن» الذي ... دعا لوقف المجزره
ثم تمادوا في العنا ... د والفساد والشره ... و « هيئة الامم » مع ... وفودها الموقره
وهددوا وأرهبوا ... وأمعنوا في الثرثره ... فان وفت وأنصفت ... فذاك منها مفخره
وارتكبوا فظائعا ... مزرية مؤثره ... او بخست ، عدنا الى ... حملتنا المظفره
وتركوا أنفسنا ... مكلومة مكدره ... والنصر والفوز لنا ... ومن يعش قطعا يره
فكان لا بد لنا ... من رد كيد الغدره
وقذفهم في البحر أو ... في النار مثوى الكفره

العلم
٢٣ تشرين الاول

ليس طارئا ولا جديدا ، فترابك هو تراب هذا الجندي المغربي ، وهو حين يقف في سيناء او على مدخل الاسماعيلية ، فكأنه يقف على مشارف تطوان ..

ما أعجز الكلمات ، كلها كلها لا تساوي قطرة صغيرة من جرح جندي مغربي يقف جنبا الى جنب مع الجندي المصري ، يترجم الحب باللغة التي لا اعرفها ولا استطيعها ..

معك دائما يا مصر ، وكلنا حب .

العلم
اول تشرين الثاني

العسكرة

ما الذي يقرأ الناس الان ؟ ولنحدد اكثر فنتساءل : ما الذي يقرأ الانسان العربي الان في الرباط وبيروت والقاهرة ودمشق وبغداد والبحرين وتونس والجزائر ؟

بعد حزيران ، نبت في الحقل العربي ما سمي ادب حزيران ، وكتب حزيران .

كل شيء اصبح مصبوغا بحزيران ، ابتداء من قصائد نزار قباني الذي تخلى عن المرأة ليكتب عن « منشورات فدائية » ، وحتى الدكتور العظم الذي تحول من « نقد الفكر الديني » الى نقد الفكر الفدائي ، مرورا بالعشرات من الكتاب ..

هذا الادب الحزيراني الذي نبت في الحقل العربي ، كاد يصبح نبتة اصيلة في الحقل لا طارئة ولا طفيلية ، فالهزيمة فتحت الشهية للكثيرين ، واعطت الشجاعة للكثيرين ، واسهمت السوق في ذلك ، فقد وقع اقبال كبير من القراء على كل كتابات حزيران ، الصحيح منها والخاطىء ، سليم النية منها وسيء النية . وانطلقت التفسيرات والتحليلات تضرب في الحقل المفتوح وتغرس فيه بلا رقيب ، فهناك من علل كل شيء بالتخلي عن الدين ، وهناك من علل كل شيء بالتشبث بالفكر الديني ، وهناك من طرح غرس « التكنولوجيا » ، ومن اعلن غياب الجماهير وغياب الديمقراطية اساسا لكل ما حصل وكل ما يحصل ... وكاد حزيران يصبح حائط مبكى ، لولا ان جاء سادس اكتوبر ١٩٧٣ لتمحو ضربة « يوم كيبور » نبتة حزيران ولتطرح امام النقد منهجا جديدا لرؤيته .

الان ، بعد سادس اكتوبر ، يصبح الانسان العربي « معسكرا » . فقد « تعسكرت » العقلية العربية القارئة بشكل لا تخفيه واجهات المكتبات حتى في هذا الظرف القصير ... فاكثر الكتب المعروضة والمطلوبة هي كتب عسكرية ، تتحدث عن الاستراتيجية العسكرية في القديم او الحديث . كما عادت مذكرات كبار رجالات الحرب لتحتل الصدارة ، وليس مستبعدا ان مطابع بيروت في هذه اللحظة ، تدور باستعجال لتعطي مزيدا من الكتب العسكرية الموضوعة والمترجمة ...

هل يعني ذلك ، ان الانسان العربي يكتشف متأخرا ، ان اللغة الوحيدة التي يسمعها العالم هي لغة الرصاص ؟.

اذا كان هذا بالفعل ، فما اكبر خسارة اسرائيل ومن يدعم اسرائيل، لان الانسان الذي يكتشف ان لغة الرصاص وحدها هي التي اسمعت صوته ، فانه حتما سيعرف كيف يطور هذه اللغة من اجل ان لا تضيع حقوقه كما ضاعت من قبل .

ان اكتوبر ١٩٧٣ ، كان ضروريا لنتعلم الكثير ، وكان اكثر ضرورة ليدخل حزيران في مدار جديد .. ولينظر اليه من منظار جديد !

العلم
٢٤ تشرين الاول